



الصراعات المستعصية

لماذا يتعثر السلام في الشرق الأوسط؟

تحرير:

د. خالد حنفي علي

محمد بسيوني عبدالحليم

د. رانيا حسين خفاجة

المستقبل
للأبحاث والدراسات المتقدمة



الصراعات المستعصية

لماذا يتعثر السلام في الشرق الأوسط؟

تحرير:

د. خالد حنفي علي

محمد بسيوني عبدالحليم

د. رانيا حسين خفاجة

المستقبل

للأبحاث والدراسات المتقدمة



الصراعات المستعصية لماذا يتعثر السلام في الشرق الأوسط؟

الطبعة الأولى: 2021
الترقيم الدولي للنسخة المطبوعة: 978-9948-8755-1-2
الترقيم الدولي للنسخة الإلكترونية: 978-9948-8755-0-5

الإخراج الفني: عبدالله خميس
مراجعة لغوية: محمد عبدالرحيم الخطيب

© جميع الحقوق محفوظة للناشر
مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة
أبو ظبي - 2021
www.futureuae.com

بطاقة فهرسة

علي، خالد حنفي. خفاجة، رانيا حسين. عبدالحليم، محمد بسيوني (تحرير)
الصراعات المستعصية.. لماذا يتعثر السلام في الشرق الأوسط؟
أبوظبي: مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 2021.

- 1- الصراعات - الشرق الأوسط
- 2- التسوية - السلام





المستقبل

للأبحاث والدراسات المتقدمة

مدير المركز

د. محمد عبدالسلام

رئيس التحرير التنفيذي

عبداللطيف حجازي

نائب رئيس التحرير

آية يحيى

مستشارو التحرير

إبراهيم غالي

حسام إبراهيم

أحمد عاطف

باحثو المركز

د. شادي عبدالوهاب

علي صلاح

أحمد عثمان

د. إيهاب خليفة

هالة الحفناوي

مصطفى ربيع

إبراهيم الغيطاي

يارا منصور

منى مصطفى

جيداء أبو الفتوح

الإخراج الفني

عبدالله خميس

التسويق والنشر

أمجد محمد جروين

marketing@futureuae.com

العلاقات العامة

رحاب مكرم

info@futureuae.com

عن المستقبل:

مركز تفكير (Think Tank) مستقل، أنشئ عام 2014، في أبوظبي، بدولة الإمارات العربية المتحدة، للمساهمة في تعميق الحوار العام، ومساندة صنع القرار، ودعم البحث العلمي، فيما يتعلق باتجاهات المستقبل، التي أصبحت تمثل إشكالية حقيقية بالمنطقة، في ظل حالة عدم الاستقرار وعدم القدرة على التنبؤ، خلال المرحلة الحالية، من خلال رصد وتحليل وتقدير "المستجدات" المتعلقة بالتحويلات السياسية والاتجاهات الأمنية، والتوجهات الاقتصادية والتطورات التكنولوجية، والتفاعلات المجتمعية والثقافية، المؤثرة على مستقبل منطقة الخليج، وفي نطاق الشرق الأوسط عموماً.

للاتصال والمعلومات:

البرج الدولي، شارع الكرامة، منطقة مركز المعارض، الطابق (24)

ص.ب 111414 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة

هاتف: +971-24444513، فاكس: +971-24444732

العلاقات العامة: +971 502 657 999

Email: info@futureuae.com

www.futureuae.com

*حقوق النشر محفوظة ولا يجوز الاقتباس من مواد الإصدار من دون الإشارة إلى المصدر

المشاركون:

أحمد زكي عثمان

أحمد عبدالعليم

د. خالد حنفي علي

دينا إبراهيم حسن

شريف محيي الدين

عمرو صلاح

عبداللطيف حجازي

د. مثنى العبيدي

محمد بسيوني عبدالحلیم

محمد عزت رحيم

يوسف صابر

(* شكر واجب:

يشكر مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، الدكتور أيمن شبانة، الأستاذ المساعد للعلوم السياسية بجامعة القاهرة، على قراءة النص النهائي للكتاب، وإبداء ملاحظات عليه؛ مما ساعد فريق التحرير في إخراج هذا الكتاب إلى النور للقراء والباحثين العرب.

الفهرس

- 15 المقدمة: متى يحل السلام في مناطق الصراع بالشرق الأوسط؟
- 27 الفصل الأول: الصراعات الهجينة والتسويات المعقدة (إطار مفاهيمي)
- 31 أولاً: الملامح "الهجينة" للصراعات الداخلية
- 31 1- طبيعة الصراعات وأشكالها
- 34 2- الانتقال للصراعات الهجينة
- 37 ثانياً: تسوية الصراع.. الخصائص وعوامل الارتداد
- 37 1- المفاهيم المرتبطة بالتسوية
- 39 2- خصائص عملية التسوية
- 41 3- تفسيرات الارتداد للصراع
- 44 ثالثاً: "بناء الثقة".. الشرط الجوهرى لإحلال السلام
- 44 1- تطور مفهوم بناء الثقة
- 46 2- أركان عملية بناء الثقة
- 47 3- تفسيرات انعدام الثقة
- 51 الفصل الثاني: السمات الهيكلية للصراع.. أبعاد مجتمعية وديموغرافية ونفسية
- 55 أولاً: السمات العامة للصراعات.. فاعلون كثر وقضايا معقدة
- 55 1- طول أمد الصراعات
- 56 2- أدوات قتالية مختلطة

- 56 3- تصاعد العامل الخارجي
- 57 4- تشابك قضايا وتداعيات الصراع
- 58 5- تعدد أطراف الصراع
- 62 ثانياً: السمات المجتمعية للصراعات.. معضلة صعود القبيلة
- 62 1- العامل القبلي كمصدر للصراع
- 64 2- العامل القبلي كجزء من التسوية
- 66 ثالثاً: السمات الديموغرافية للصراعات.. تغيير التركيبة السكانية
- 66 1- توطین الميليشيات المسلحة
- 67 2- صعوبة إعادة النازحين
- 67 3- محاولة تغيير ديموغرافيا الحدود
- 68 4- التغيير الديموغرافي المفروض من الخارج
- 69 رابعاً: السمات النفسية للصراعات.. حالة "ذاكرة الصراع"
- 70 1- أركان ذاكرة الصراع
- 71 2- تأثيرات الذاكرة على التسوية
- 73 3- آليات تحييد تأثيرات الماضي
- 75 الفصل الثالث: الفواعل المسلحة بالصراعات.. الأدوار وأدوات التأثير
- 80 أولاً: الميليشيات المسلحة.. تصاعد الدور والتأثير
- 80 1- محفزات الصعود
- 83 2- أدوار متنوعة
- 87 3- التأثير في مستقبل الصراعات

90	ثانياً: شركات الأمن الخاصة.. فاعل جديد في الصراعات
90	1- سياقات البروز
94	2- أدوار متنوعة
96	3- تعقيدات الصراع
98	ثالثاً: "الطائرات بدون طيار".. مدخل لتغيير توازنات الصراع
98	1- تصاعد التهديدات
101	2- دوافع متعددة
102	3- مستقبل الدرونز
105	الفصل الرابع: الاقتصادات المأزومة لدول الصراعات.. تكاليف باهظة
110	أولاً: تكلفة الصراعات المسلحة.. سياقات اقتصادية مأزومة
110	1- تراجع المؤشرات الاقتصادية
112	2- تراجع سيطرة الدولة على الموارد
113	3- انخفاض قيمة العملات الوطنية
115	4- تزايد أزمة السيولة النقدية
116	5- توجيه الموارد لتمويل المجهود الحربي
116	6- استهداف الميليشيات المسلحة للتجار ورجال الأعمال
117	7- اتساع الأنشطة الاقتصادية غير المشروعة
120	ثانياً: انتعاش اقتصادات الحرب.. حالة تهريب النفط
120	1- مؤشرات أساسية
122	2- دوافع تهريب النفط

124	3- تداعيات تهريب النفط
125	4- إجراءات المواجهة
129	الفصل الخامس: الأوضاع الإنسانية في مناطق الصراع.. توظيفات الإغاثة
134	أولاً: الأمن الإنساني للصراعات.. مؤشرات التدهور
135	1- ضحايا الصراعات
137	2- معدلات النزوح واللجوء المتصاعدة
139	3- تراجع الأمن الغذائي
140	4- تدهور الرعاية الصحية
141	5- تأثيرات فيروس كورونا
144	ثانياً: منظمات الإغاثة بين جدل الإنساني والسياسي
144	1- الدور الإغاثي
148	2- الدور السياسي
150	ثالثاً: منظمات الإغاثة وفواعل الصراع.. أنماط التعاون والصدام
150	1- نمط التعاون
151	2- نمط الصراع
154	3- نمط التوظيف
159	الفصل السادس: مداخل تسوية الصراعات المعقدة.. الشروط والعوائق
163	أولاً: تحديات ومتطلبات مراحل تنفيذ اتفاقات السلام
163	1- مقاربات ما بعد التسوية
165	2- إشكاليات قائمة

168	3- متطلبات الفاعلية
171	ثانياً: أبعاد وأنماط "صراعات التسوية" في الشرق الأوسط
171	1- أبعاد مختلفة
174	2- أنماط متباينة
179	3- تعقيدات التسوية.. دلالات جوهرية
183	الفصل السابع: المسارات غير التقليدية لتسوية الصراع.. استعادة المجتمع
187	أولاً: دبلوماسية المسار الثاني.. حدود الدور والفاعلية
187	1- طبيعة المفهوم والأنماط
189	2- نقاط القوة والضعف
190	3- تجارب دولية وشرق أوسطية
196	ثانياً: عوائق المصالحة المحلية في مناطق الصراعات
196	1- مؤشرات أساسية
198	2- عوائق المصالحة
201	ثالثاً: التفاوض مع المسلحين.. محددات النجاح والفشل
201	1- محددات التفاوض
204	2- أشكال التفاوض
206	3- معضلات التفاوض مع المسلحين في الشرق الأوسط
209	الفصل الثامن: استخدامات التكنولوجيا في إحلال السلام.. مقاربات ذكية
213	أولاً: تحول التكنولوجيا من تغذية العنف إلى تعزيز السلام
213	1- منطلقات أساسية

216	2- مجالات الاشتباك
222	3- تحديات أساسية
225	ثانياً: التكنولوجيا وإنقاذ ضحايا الصراعات.. المعونات الذكية
225	1- سياقات بزوغ المعونات الذكية
227	2- طبيعة المعونات الذكية
230	3- استخدامات التقنيات الذكية
233	ملحق: خرائط المتنازعين في دول الصراعات (ليبيا، سوريا، العراق)
237	1- الصراع في ليبيا
243	2- الصراع في سوريا
251	3- الميليشيات المسلحة في العراق

المقدمة:

متى يحل السلام في مناطق الصراع بالشرق الأوسط؟

لا تكاد تنتهي منطقة الشرق الأوسط من مرحلة صراعية، حتى تدخل في أخرى أكثر إنهاكاً لمقدرات الدول والمجتمعات. فإثر عقود من غلبة الصراعات الإقليمية والدولية على المنطقة (حرب العراق وإيران في الثمانينيات، غزو العراق للكويت في التسعينيات، الغزو الأمريكي للعراق في عام 2003)؛ جاء العقد الأخير حاملاً نمطاً جديداً من الصراعات الممتدة، التي تداخلت فيها فواعل وقضايا الداخل مع قوى الخارج بالمنطقة، إثر نشوب الانتفاضات العربية في نهاية 2010.

لقد كانت شعوب المنطقة تتطلع عبر تلك الانتفاضات إلى بدء مرحلة تعافٍ تُخرجها من المسار الصراعي التاريخي المزمّن، فإذ بها على العكس تكشف سوءات وأزمات انتقلت من الكمون إلى العلن لتخلق نمطاً من "متلازمة الضعف" للدولة والمجتمعات في آن واحد. فمن جهة، تراجعت قدرات بعض الدول الشرق أوسطية في أداء وظائفها الأمنية والتنموية، إلى الحدّ الذي صارت معه أكثر انكشافاً أمام التدخل الخارجي، مما جعل وجود الدولة ذاتها موضع شكوك.

ومن جهة أخرى، لم يكن صعود المجتمعات على حساب الدول، مع بداية الانتفاضات، سوى مظهر مؤقت لم يدم طويلاً، إذ سرعان ما بزغ التشردم، واستحضرت القوى المجتمعية إرث الاحتقان، والكراهية، وإقصاء الآخر؛ الأمر الذي عرّضها لاستقطابات حادة تلاقت مع نظيرتها السياسية والعسكرية المنقسمة في تحالفات سياسية - مناطقية، مما أسهم في صعود وعسكرة قوى الانتماءات الأولية (الدينية، والطائفية، والمناطقية، والقبلية.. وغيرها).

في هذا السياق، تفجرت الصراعات المسلحة في عدة دول عربية، مثل ليبيا وسوريا واليمن، وتمددت تأثيراتها بفعل السياقات السياسية والمجتمعية

والاقتصادية المتقاربة لتتلاقى مع أزمات وصراعات أخرى، بعضها كان قائماً بالفعل وازداد تفاقماً وتعقداً أكثر، مثل العراق والصومال، والآخر كان كامناً ثم تفجر حديثاً، مثل مالي في منطقة الساحل الإفريقي، بفعل الحراك الجغرافي لتفاعلات الشرق الأوسط باتجاه مناطق جغرافية مجاورة.

وقد أخذت تلك الصراعات سمات أساسية، **أولها: استعصاء التسويات**، حيث إن تلك الصراعات نشبت في البداية على خلفية مطالبات فرقاء الداخل بالمشاركة في السلطة والثروة، والاعتراف بالهويات المهمشة؛ لكنها ما لبثت أن تعرضت لتدخلات قوى خارجية، فأضحت عصية على التسوية السلمية، حيث باتت تتطلب توافقاً صعباً بين مصالح قوى داخلية وخارجية في آن واحد، لا سيما انتشار الحروب بالوكالة في الإقليم.

وباتت القوى الخارجية حاضرة -بدرجات انخراط وأوزان نسبية مختلفة- في كل صراع داخلي على حدة، ما جعل الأدبيات السياسية تصف صراعات الشرق الأوسط بأنها ذات طبيعة "محلية خضعت للتدويل". مع مثل هذا النمط من الصراعات المهجنة، أصبحت الحروب بالوكالة، والمساومات على المصالح بين القوى الخارجية على مناطق الصراع؛ جزءاً أساسياً من ديناميات لعبة النفوذ في الشرق الأوسط.

ثانيها: إفراز تهديدات عابرة للحدود، حيث باتت مناطق الصراعات بالشرق الأوسط منتجة لتهديدات ومخاطر غير تقليدية تُضاف لأزمة الدولة الهشة، حيث شهد العقد الأخير تصاعداً حاداً لظواهر عابرة للحدود امتدت تأثيراتها إلى أوروبا عبر البحر المتوسط، كتنظيمات الإرهاب، خاصة "داعش"، وجماعات الجريمة المنظمة، والهجرة غير المشروعة وغيرها. ومن ثم صار من الصعب فصل ما يجري في الصراع السوري أو اليمني أو الليبي، عن نظرائه في العراق ومالي والصومال وأفغانستان.

أما السمة الثالثة، فهي أن مناطق الصراع في الشرق الأوسط أضحت بمثابة ساحات جيوسياسية لتغيير موازين القوى الإقليمية والدولية؛ إذ استعادت روسيا دورها الدولي وذلك بانخراطها في صراعات المنطقة، حيث دعمت الحكومة السورية، ثم امتدت لاحقاً باتجاه ليبيا، كمنصة قفز استراتيجية للدخول إلى وسط وشمال إفريقيا، وامتلاك أوراق ضغط في التنافس العالمي على الطاقة. وساعدها في ذلك تراجع الدور الأمريكي، والتردد وانقسام المواقف الأوروبية في. وبالمثل، وظّفت القوى الإقليمية غير العربية تنامي هذه الصراعات لتحقيق مزيداً من التغلغل في الدول العربية الهشة المنكوبة بالصراعات، كما تجلى في التدخل التركي في سوريا وليبيا، وكذلك الإيراني في سوريا والعراق واليمن ولبنان.

في ظل تلك البيئة الصراعية المعقدة، كلما اقترب المتنازعون خطوة نحو اتفاقات السلام، ظهر مفسدو التسويات، سواء أكانوا من فواعل الداخل أم الخارج، لإبعادهم خطوات أخرى، وإطالة أمد تلك الصراعات، **حتى بات السؤال الصعب المطروح دون إجابات حاسمة أو حتى قابلة للنفاد هو: متى يحل السلام في منطقة الشرق الأوسط، التي لم تلتقط أنفاسها بسبب المراحل الصراعية المتتالية منذ استقلال دولها في القرن العشرين؟**

وحتى مع تفشي جائحة (كوفيد-19) في العالم خلال عام 2020، ومنها مناطق الصراعات في الشرق الأوسط؛ لم يؤدّد ذلك إلى وقف الحروب بالمنطقة، من أجل التصدي لذلك الوباء الذي يهدد الجميع دون تمييز. إذ استمر فرقاء النزاع في صراعاتهم، دون أن يأنهوا للتداعيات الإنسانية الوخيمة للجائحة. وعلى الرغم من أن بعض مناطق الصراع شهدت خفضاً للتصعيد، كما في ليبيا وسوريا؛ لكن بدت التوازنات السياسية والعسكرية دافعة لذلك بأكثر مما أحدثته الجائحة. لكن مع ذلك، فإن الأخيرة قد تزيد الانكشاف للبنى الصحية والاقتصادية بالمنطقة، ومن ثم تعزيز المظالم السياسية والمجتمعية والاقتصادية، وإضافة عوامل أخرى لتفاقم الصراعات في المنطقة.

معضلات الدولة المركزية

قد يكون صحيحاً أن المنظورات الغربية، وبفعل التأثير المعرفي للتجربة الصراعية الأوروبية التي لم تنتهِ إلا بعد الحرب العالمية الثانية، تميل إلى تأطير صراعات المنطقة على أنها جزء من عملية تطويرية للمجتمعات والدول، قد تنتهي إلى مرحلة أكثر نضجاً وتعايشاً؛ لكن المعضلة أن دورة المراحل الصراعية في الشرق الأوسط تتوالد تاريخياً واحدة تلو أخرى، حيث بدأ أن كل مرحلة صراعية تخرج من رحمها صراعات أخرى أكثر عمقاً وتجذراً في واقع دول المنطقة.

وتكشف نظرة عامة على دول الصراعات بالمنطقة عن معضلة هيكلية تتعلق بتعددية مراكز السلطة والأمن في أقاليم الدولة، وتمتد القوى المجتمعية خلفهما، كما في شمال وجنوب اليمن، وشرق وغرب ليبيا، ما قد يهدد بنية الدولة المركزية بالمنطقة. قد تكون سوريا كسرت نسبياً تعددية مراكز القوى تلك، بعد الدعم الروسي، وضعف المعارضة المسلحة، وانزواء "داعش"؛ لكن مع ذلك، فالسؤال المستقبلي المطروح: كيف سيتعافى المجتمع السوري بعد التغيرات الديموغرافية الحادة التي أصابته، خلال سنوات الحرب الأهلية، جراء موجات النازحين واللاجئين؟. والأهم: أي كلفة ستدفعها الدولة للقوى الخارجية التي دعمت استعادتها لغالبية المناطق الجغرافية التي تحت سيطرة جماعات الإرهاب والمعارضة المسلحة؟.

لقد أنتجت السمات الأساسية للصراعات الشرق أوسطية معضلات رئيسية على مستوى صياغة تسويات سلمية مستقرة ودائمة، يمكن عبرها إحداث تحول جوهري في واقع المنطقة. **فمن جهة أولى، بات التوصل إلى اللحظة الناضجة (Ripe Moment)**، التي تحدث عنها ويليام زارتمان، محكوماً بتعقيدات عديدة، لأن الأطراف التي تمتلك أهدافاً ومصالح مختلفة سيكون من الصعب عليها تحديد اللحظة التي يمكن عندها الخروج من المسار العسكري للصراع، وطرح مسارات سياسية بديلة تحقق مصالحها ومصالح الأطراف الأخرى. أو بمعنى

آخر، إنتاج نموذج توافقي ينطوي على الاعتراف بإمكانية تشكيل موقف مربح لجميع الأطراف.

من جهة ثانية، ثمة تشابكات على مستوى قضايا التسوية السلمية في مناطق الصراعات، على غرار قضايا العدالة ومحاسبة المسؤولين عن الانتهاكات، ونزع السلاح، وإعادة بناء المؤسسات، وتقاسم السلطة، وكيفية التعامل مع المحاربين السابقين في المجتمع. ومثل هذه التشابكات تجعل من الصعب التوصل إلى سلام مستقر. إذ تظل احتمالات الارتداد إلى العنف واردة، فالحروب الأهلية توصف بأنها حالة مزمنة، فبمجرد أن تقع لمرة واحدة، فإن فرص تجددتها مرة أخرى تكون أكبر لتخلق حلقة من الصراع يصعب التحرر منها.

وحتى مع الشروع في إجراءات بناء السلام، والدخول في تسويات سلمية مع فواعل الصراع، وفي مقدمتها التنظيمات والمليشيات المسلحة، فإن احتمالية الارتداد إلى العنف تظل قائمة. وهذه الاحتمالية عادة ما تكون مرتبطة بـ **”هيكل الفرص المتاحة“** أمام المليشيات المسلحة، لا سيما أن الكثير منها تمكن خلال سنوات الصراع من تكوين شبكات للتمويل، والدعم الاقتصادي لا يمكن التخلي عنها، إلا إذا قدمت التسوية السلمية مصادر بديلة.

من جهة ثالثة، ستحتاج دول المنطقة إلى سنوات، وربما إلى عقود، للتعافي من تداعيات الصراعات المسلحة وانعكاساتها على العلاقة بين الدولة والمجتمع، إذ إن **أغلب أطروحات التعافي (Resilience)** من الصراعات والأزمات تحيل إلى ضرورة التوازن بين الدولة والمجتمع، وتجنب الاختلالات ومكامن الهشاشة في الجانبين على السواء، والتي كشفت عنها الانتفاضات العربية بشكل أو بآخر. ووفقاً لتلك الأطروحات، فإن ثمة معضلة في فكرة **”الدولة المسيطرة“**، بحيث لم يعد من الممكن القبول بهذه الفكرة والتعويل عليها كثيراً، إذ إن الكثير من مؤسسات الدولة تتراجع كفاءتها بمرور الوقت وخاصة في حالة تراجع دور

المجتمع، ومهما كانت القدرات المتاحة لديها فهي ستظل محدودة في مواجهة تحديات مرحلة ما بعد الصراع، وهكذا يتعين إعطاء حيز أكبر لإشراك العناصر المجتمعية في مهام التعافي السريع.

يستدعي هذا الطابع للدولة ووظائفها معالجة المشكلات التي واجهها النموذج الدولتي خلال السنوات الماضية بمنطقة الشرق الأوسط، وصياغة علاقة متزنة مع المجتمع؛ لأن ضعف وهشاشة المجتمع لصالح قوة الدولة، واستعادة عافيتها، لن يؤدي إلى خروج دول المنطقة من مسوغات الصراع وحواضنه المجتمعية. وبطبيعة الحال، فإن ضعف الدولة لصالح قوة المجتمع لن يؤدي إلى استقرار مستدام، وربما يكون محفزاً لدورات جديدة من الصراعات بالمنطقة تستحضر ولاءات أولية قبلية وطائفية وعشائرية لا تأخذ في حساباتها الدولة، كإطار جمعي ترتهن شرعيته، إلى حد بعيد، بمدى تمثيله للمجتمع وتكويناته المختلفة واحتياجاته وطموحاته.

أهداف الكتاب وفصوله

تكمُن أهمية هذا الكتاب في سعيه لاكتشاف طبيعة أبعاد وملامح الصراعات المستعصية في الشرق الأوسط خلال العقد الأخير. كما يطرح -في الوقت عينه- مقاربات نظرية وتطبيقية لحل وتسوية هذه الصراعات، سواء عبر المسارات التقليدية أو غير التقليدية. مستهدفاً من ذلك تقييم مدى إمكانية الخروج من حالة السلام المتعثر في المنطقة.

ويتضمّن الكتاب أوراقاً وتحليلات متعددة لخبراء وباحثين نُشرت بالأساس على فترات متفرقة في مجلة "اتجاهات الأحداث" وموقع مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة. وقد تم إعادة تحريرها، وإضافة أجزاء أخرى حديثة لها للتواكب مع التفاعلات الراهنة في مناطق الصراعات بالمنطقة.

يؤصل الكتاب -نظرياً- في **فصله الأول**، لمفهوم الصراع؛ إذ يُلقي الضوء على تحول صراعات الشرق الأوسط إلى نمط معقد وهجين تتعدد فيه الفواعل وتتعدد فيه القضايا، ثم يحدد طبيعة مفهوم التسوية السلمية للصراعات والمفاهيم الأخرى المتداخلة معها. وبرغم أن أغلب الصراعات قد تصل في مرحلة ما من مراحل تطورها لتسوية ما، فإن التحدي الرئيسي يتمثل في استدامة التسوية وتجنب الانخراط مرة أخرى في الصراع العنيف أو ما يُسمى الارتداد للحالة الصراعية. ولما كانت مسببات هذا الارتداد عديدة، ويأتي على رأسها غياب الثقة المتبادلة بين أطراف الصراع، فيما يتعلق بالالتزام بمقتضيات التسوية؛ لذا يخصص الجزء الأخير من هذا الفصل جزءاً مفصلاً عن بناء الثقة، باعتباره شرطاً جوهرياً لإحلال السلام واستدامته.

أما الفصل الثاني، فيطرح السمات الأساسية لصراعات المنطقة، باعتبارها ذات طبيعة هجينة، فهي وإن عكست طبيعة الصراعات التقليدية من حيث كونها بين أطراف داخلية تتنازع حول قضايا داخلية، كالمشاركة في السلطة والثروة، ومواجهة مظاهر التهميش الاجتماعي والهوياتي؛ فإنها سرعان ما اكتسبت سمات أدخلتها في سياق الصراعات المستعصية والهجينة والمعقدة. ومن هذه السمات، طول أمد الصراع، وتطور وسائل وآليات القتال، وتصاعد العامل الخارجي، وتشابك قضايا وتداعيات الصراع، وتعدد أطراف الصراع. ومن بين الفاعلين الكثر في صراعات المنطقة، يبرز العامل القبلي الذي يكتسب أهمية كبيرة بالنظر إلى طبيعة المجتمعات العربية، والتي تشكل القبيلة نواتها ووحدتها البنائية الأساسية. وفي هذا الإطار، يفرد هذا الفصل جزءاً لمناقشة أدوار القبائل والعشائر، والتي قد يفضي بعضها إلى تأجيج الصراعات القائمة، والآخر إلى إحلال السلام. ومن سمات صراعات المنطقة أيضاً، التغيير المستمر للتركيب الديموغرافية في مناطق الصراعات.

وفي حين كان هذا التغير السكاني نتيجة تلقائية للاقتتال الدائر، والذي أدى إلى خروج أعداد هائلة من النازحين واللاجئين، فيمكن أيضاً عزوه إلى ما تتبناه أطراف الصراع من آليات واستراتيجيات منظمة وممنهجة تهدف إلى تغيير البنية الديموغرافية لمناطق الصراعات لتصبح انعكاساً لموازن القوى بين هذه الأطراف. ولا يمكن فهم تلك الصراعات دون سبر أغوار الأبعاد النفسية والإدراكية لها، فهذه الأبعاد تبرز تارة كأحد مسببات الصراع، وتارة أخرى كأحد عوائق الوصول للتسوية، ما يتطلب مقاربات خاصة للتعاطي معها.

في الفصل الثالث، يناقش الكتاب ديناميات الصراعات بالمنطقة، كحصيلة لمتغيرين مرتبطين، **أولهما** الفواعل المنخرطة في هذه الصراعات، و**ثانيهما** طبيعة ومستويات التسليح المتاحة لهذه الفواعل. فعلى صعيد الفواعل الأساسية، برزت الميليشيات المسلحة، وشركات الأمن الخاص، كأثلة لتصاعد الفواعل المسلحة دون الدول. وبدا هذا البروز نتيجة للأزمة البنيوية التي تعرض لها عدد من دول الشرق الأوسط. إذ تَوَاكَبَ مع تراجع سلطة الدولة وانقسام المؤسسات العسكرية، امتداد لنفوذ كل من الميليشيات وشركات الأمن الخاص التي طمح كل منها في ملء الفراغ الذي أحدثه تراجع الدولة. أما المتغير الثاني، فهو وثيق الصلة بصعود هذه الفواعل والطفرة الحادثة على صعيد التسليح والأدوات القتالية المتاحة أمامهم. وكنموذج لهذه الطفرة، يناقش الفصل أثر الطائرات بدون طيار (الدرونز) في تغيير توازنات القوى بين الفاعلين.

ولأنّ كلفة الصراعات المسلحة تطال بالأساس اقتصادات الدول، فقد رصد **الفصل الرابع** التداعيات الاقتصادية في الدول المأزومة بالصراعات في المنطقة. إذ تراوحت الكلفة ما بين تراجع المؤشرات الاقتصادية، وضعف سيطرة الدولة على الموارد، وانخفاض قيمة العملات الوطنية، وغيرها الكثير. غير أن الأثر الاقتصادي الأكثر بروزاً يتمثل في انتعاش اقتصادات الحرب التي تنطوي على التحايل على الاقتصاد النظامي، وتدميره، ونمو الأسواق غير النظامية، وسيادة

السلب والابتزاز والعنف المتعمد ضد المدنيين من قبل المقاتلين لتأمين السيطرة على الأصول والموارد المربحة. وبالنظر إلى أهمية مورد النفط في كافة الدول المأزومة بالصراع بالمنطقة، يُخصص هذا الفصل جزءاً لأنشطة تهريب النفط كأحد نماذج اقتصادات الحرب.

ولم تقتصر تداعيات الصراعات على الأبعاد الاقتصادية فحسب؛ إذ نجم عنها تداعيات إنسانية بالغة الأثر ناقشها بالأساس **الفصل الخامس**. ذلك أن تلك التداعيات انعكست في عدة مؤشرات تمثلت في ارتفاع أعداد ضحايا الصراعات، وتزايد معدلات النزوح واللجوء، وتراجع الأمن الغذائي، وتدهور مستويات الرعاية الصحية. ولعل هذا الوضع الإنساني والمجتمعي المأزوم، الذي رافقه فشل الدولة في القيام بوظائفها الأساسية، استدعى دوراً متزايداً للمنظمات الإغاثية. و لم يقتصر هذا الدور على تقديم المساعدات الإنسانية العاجلة التي يحتاج إليها المتأثرون بالصراع من المدنيين؛ وإنما امتد للعب أدوار سياسية جعل من هذه المنظمات فاعلاً في الصراع يرتبط بغيره من الفاعلين بأنماط من العلاقات الصراعية تارة والتعاونية تارة.

وكمحصلة لفهم سمات الصراعات، ودينامياتها، وتداعياتها، يأتي **الفصل السادس** من الكتاب ليناقد عوائق تسوية الصراعات بالمنطقة. فعلى مدى العقد المنصرم برزت محاولات عدة لإيجاد تسويات للصراعات القائمة، غير أن هذه الجهود لم تثمر عن نتائج على صعيد تخفيض حدة الصراعات. ناهيك عن محاولة حلها وتسويتها؛ بل على العكس أسهمت في إنتاج موجات جديدة من العنف بات يطلق عليها صراعات التسوية.

وفي ظل عوائق التسوية تلك، بدت هنالك أهمية للجوء إلى مسارات غير تقليدية لحلحلة الصراعات في الشرق الأوسط، كما يظهر في **الفصل السابع**، الذي يتناول دبلوماسية المسار الثاني، التي تتم عبر تنظيم لقاءات وحوارات غير رسمية بين أطراف الصراع. وتملك هذه الدبلوماسية جوانب قوة تتمثل في تحرر الأطراف من القيود الرسمية، وضمان دور أكبر للمجتمع المدني، كما تعاني من جوانب ضعف تتمثل في محدودية التأثير، كنتيجة طبيعية لسمات الفاعلين المشاركين فيها، وطول الفترة الزمنية التي يحتاجها هذا المسار لكي ينتج أثراً على الأرض، وأخيراً عدم وجود دعم كافٍ مقارنة بالدعم الذي تلقاه الأدوات التقليدية.

وبناءً على ذلك، يُلقى هذا الفصل بعض الضوء على تجارب إقليمية ودولية مماثلة، وينتهي برصد مؤشرات تساعد اللجوء إلى دبلوماسية المسار الثاني في دول الصراعات بالمنطقة والمعوقات التي تحول دون نجاح هذه المبادرات، كما يناقش أيضاً إشكاليات تعقد المصالحات المجتمعية، وكذلك الجدل المتصاعد حول التفاوض مع المسلحين، كمسار بديل لجأت له بعض الدول لتهدئة الصراعات.

ويناقش **الفصل الثامن** الأدوار المتصاعدة للتكنولوجيا، كمحفز للسلام في الشرق الأوسط في سياق تصاعد أهمية المقاربات الذكية، ويبدأ الفصل برصد المنطلقات الأساسية لتوظيف أدوات الثورة الصناعية الرابعة في مجال منع وتسوية الصراعات، كما يتناول الأشكال والمراحل المختلفة التي يمكنها توظيف التكنولوجيا وتحدياتها. وكنموذج لتوظيف التكنولوجيا كدافع للسلام، يعالج هذا الفصل تطبيقات التكنولوجيا الحديثة في إنقاذ المتضررين من الصراعات، وتحديدًا المعونات الذكية، موضحاً السياق العام لظهور هذا النمط من المساعدات وتطبيقاته بمناطق الصراعات بالمنطقة.

وأخيراً، يُختتم الكتاب بملحق يُبسط حالات الصراعات المعقدة في ثلاث دول هي: ليبيا وسوريا والعراق، عبر توضيح أبرز محطات تلك الصراعات، وطبيعة الفواعل الميليشياوية، وأماكن السيطرة والانتشار.

ويظل في الأخير أن الرسالة الأساسية التي تظهر بين طيات فصول ذلك الكتاب، هو أن السلام الحقيقي في الشرق الأوسط سوف يتحقق بتوافر شرطين أساسيين، الأول: استعادة الدولة مناعتها، على أسس جديدة من العدل، واستيعاب التنوعات المجتمعية، وتحويلها إلى مصدر قوة، بما يقلص انكشافها داخلياً وخارجياً. والثاني: أن تجد المجتمعات على الجانب الآخر بيئة مواتية لتلبية احتياجاتها من الأمن والمشاركة في السلطة والموارد والاعتراف بالهويات، دون الانتقاص من الانتماء الوطني، بما قد يخلق لحظة تعافٍ قد تُخرج الشرق الأوسط من الدائرة المفرغة للصراعات.

د. خالد حنفي علي - د. رانيا حسين خفاجة - محمد بسيوني عبدالحليم

يناير 2021